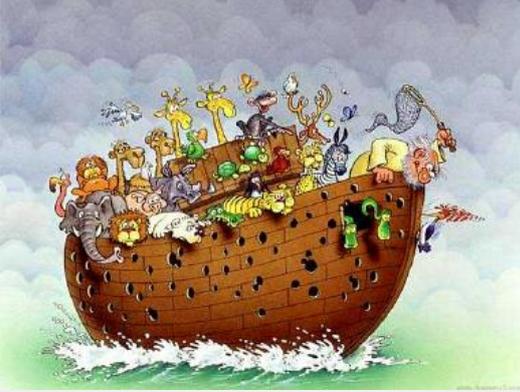


مصادر اسطورة الطوفان - بقلم سيد القمني

اسطورة طوفان نوح:



{105} كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ {106} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {107} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {108} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {109} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {110} قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ {111} قَالَ وَمَا عَلَّمِي مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {112} إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ {113} وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ {114} إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ {115} قَالُوا لَنْ نَمُوتَ بِتَنَّتِهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ {116} قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ {117} فَانفُخْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَثَمَّ وَبَنِّجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {118} فَانجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ {119} ثُمَّ أَعْرَفْنَا بِعَذَابِنَا الَّذِينَ {120} إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ {121} وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ [الشعراء : 105-121].

الأصول الأسطورية والتاريخية لقصة طوفان نوح:

أولاً: قصة الطوفان السومرية :

كان الناس يعتقدون حتى أواخر القرن الماضي أن التوراة هي أقدم مصدر لقصة الطوفان , ولكن الاكتشافات الحديثة أثبتت أن ذلك مجرد وهم، حيث عثر في عام 1853 م على نسخة من رواية الطوفان البابلية، وفي الفترة ما بين 1889 م، 1900 م، اكتشفت أول بعثة أثرية أمريكية قامت بالتنقيب في العراق اللوح الطيني الذي يحتوي على القصة السومرية للطوفان في مدينة "نيبور" (نفر) ثم تبعه آخرون، وبيدوا من طابع الكتابة التي كتبت بها القصة السومرية أنها ترجع إلى ما يقرب من عهد الملك البابلي الشهير "حمورابي" وعلى أنه من المؤكد أنها كانت قبل ذلك.

ملخص القصة حسب الرواية السومرية تتحدث عن ملك يسمى (زيوسودا) كان يوصف بالتقوى ويخاف من الله، ويكب على خدمته في تواضع وخشوع أخبر بالقرار الذي أعده مجمع الآلهة بإرسال الطوفان الذي صاحبه العواصف والأمطار التي استمرت سبعة أيام وسبع ليال يكتسح هذا الفيضان الأرض، حيث يوصف (زيوسودا) بأنه الشخص الذي حافظ على الجنس البشري من خلال بناء السفينة ...

ثانياً : قصة الطوفان البابلية :

1 . ملحمة جلجامش : في الثالث من ديسمبر 1872 م أعلن "سيدني سميث" نجاحه في جمع القطع المتناثرة من ملحمة جلجامش بعضها إلى بعض، مكتوبة في اثني عشر نشيداً، أو بالأحرى لوحاً، ومحتوية على قصة الطوفان في لوحها الحادي عشر: وملخص القصة أنه كان هناك رجل يسمى جلجامش أمرته الآلهة بأن يبني سفينة , وأن يدع الأملاك وأنه احتمال على ظهر الفلك بذور كل شيء حي، والفلك التي بنها سيكون عرضها مثل طولها وأنه نزل مطر مدارر .. الخ ثم استوت السفينة على جبل نيسير (نيزير) [وهو جبل بين الدجلة والزاب الأسفل] .

2 - قصة بيروسوس :

في النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، وعلى أيام الملك " أنتيوخوس الأول" (280 ، 260 ق.م)، كان هناك أحد كهنة الإله " ردوك " البابلي، ويدعى بيروسوس قد كتب تاريخ بلاده باللغة اليونانية في ثلاثة أجزاء وحوال الكتاب على قصة الطوفان وتقول أنه كان يعيش ملك اسمه " أكسيسو ثوس " هذا الملك يرى فيما يرى النائم أن الإله يحذره من طوفان يغمر الأرض ويهلك الحرث والنسل فيأمره بأن يبني سفينة يأوي إليها عند الطوفان .

فبيني هذا الملك سفينة طولها مائة وألف يارده وعرضه أربعمائة وأربعون ياردة، ويجمع فيه كل أقربائه وأصحابه، ويخترن فيه زاداً من اللحم والشراب فضلاً عن الكائنات الحية من الطيور وذات الأربع .

و يغرق الطوفان الأرض.. وتستقر السفينة على جبل حيث ينزل وزوجته وابنته وقائد الدفة، ويسجد الملك لربه ويقدم القرابين الخ....

قصة الطوفان اليهودية كما ترويها التوراة

وردت هذه القصة في الإصحاحات من السادس إلى التاسع من سفر التكوين وتجري أحداثها على النحو التالي :



رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض، فحزن أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه، وعزم على أن يمحو الإنسان والبهائم والدواب والطيور عن وجه الأرض، وأن يستثنى من ذلك نوحاً لأنه كان رجلاً باراً كاملاً في أجياله، وسار نوح مع الله وتزداد شرور الناس، وتمتلئ الأرض ظلماً، ويقرر الرب نهاية البشرية، ويحيط نوحاً علماً بما نواه، أمراً إياه بأن يصنع فلكاً ضخماً، وأن يكون طلاؤها بالقار والقطران من داخل ومن خارج، حتى لا يتسرب إليها الماء، وأن يدخل فيها اثنين من كل ذي جسد حي، ذكراً وأنثى، فضلاً عن امرأته وبنهيه ونساء بيته، هذا إلى جانب طعام يكفي من في الفلك وما فيه.. تكوين 6: 1 - 22.

و يكرر الرب أوامره في الإصحاح التالي فيأمره أن يدخل الفلك ومن معه ذلك لأن الرب قرر أن يغرق الأرض ومن عليها بعد سبعة أيام ذلك عن طريق مطر يسقط على الأرض أربعين يوماً وأربعين ليلة، ويصدع نوح بأمر ربه فيأوي إلى السفينة ومن معه وأهله، ثم انفجرت كل ينابيع الغمر العظيم وانفتحت طاقات السماء، واستمر الطوفان أربعين يوماً على الأرض.

و تكاثرت المياه ورفعت الفلك عن الأرض وتغطت المياه، ومات كل جد كان يدب على الأرض، من الناس، والطيور والبهائم والوحوش وبقي نوح والذين معه في الفلك حتى استقرت الفلك على جبل أراراط.

بالنسبة لأسطورة ملحمة جلجامش:

قصة الطوفان أخذها البابليون من السومريون بعد ان اضافوا عليها اضافات طفيفة مع تعديل الاسماء حيث اصبح بطل القصة هو اوتنابشيتيم او اثراخاسيس بدلا من زيوسودرا السومري ويمكن للقاريء ان يجد مصادر كثيرة لملحمة كلكامش حيث لا يوجد مصدر تحدث عن حضارات الراقدين القديمة الا وتحدث عن ملحمة كلكامش وسنستعين بملخص قصة الطوفان الواردة في ملحمة كلكامش من خلال عرض د. عبد العزيز صالح حيث ينادي الاله عبده الصالح قائلا:

اوتناشيم ...

يا رجل شوربياك...

اهدم الدار
وابن سفينة..

دع املاكك
وانقذ حياتك
ارحل بها
وخذ بذرة كل حي...

وينفذ العبد الصالح اوامر ربه ويروي قانلا ((وفي اليوم الخامس اتممت اطار السفينة وكانت سعة ارضها فدانا كاملا وارتفاع جدرانها 120 ذراعا وجعلت لها ستة مسطحات , وقسمتها سبعة اقسام واكملت السفينة في اليوم السابع وحملته بكل ما عندي وحملتها بصنوف الاحياء كلهم واستمرت اعاصير الطوفان ستة ايام وستة ليالي واكتسحت الارض كما تكتسحها عاصفة الجنوب وفي اليوم السابع اطلقت حمامة فذهبت وعادت وعز عليها ان تجد مكانا ظاهرا تحط عليه وارسلت سنونو فذهب وعاد ولم يجد موضعا ظاهرا يحط عليه فارسلت غرابا فذهب وراى الماء يتناقص فأكل وعب ودار ولم يعد وحينذاك واجهت الجهات الاربعة وضحيت وسكبت قربانا فوق قمة جبل)).

وكانت تضحية اوتنابشيتيم ببعض حيوانات السفينة الطاهرة ، إذ قام بذبحها ثم ارسلها الى محرقة لالهة ويقول النص ((فتنشق الرب الرائحة الزكية)). ويتضح في النهاية ان سبب الطوفان كان اخلاقيا كعقاب من الاله ((ايل_ ايل)) او انليل لسكان الارض بعد تكرارهم الخطيئة. ويتضح ذلك من تعقيب الاله على الطوفان بقوله((لقد حمل المذنب ذنبه والاثم اثمه امهله كي لا يفنى ولا تهمله كي لا يفسد)). وبذلك كان غرض انليل هو تطهير الارض من سفاكي الماء والقتلة فسفك دماء البشر وقتلهم شر قتلة بطوفانه ، دون تمييز بين صالح وطالح . ويبدو ان الالهة السومرية وعلى رأسهم انليل قد ندموا على ما الحقوه بالبشر من شر فقرروا اعطاء البشر عهدا بعدم تكرار ذلك الطوفان مرة اخرى وساعتها قامت الالهة الكبيرة عشتار بتعليق عقدها الثمين والمتعدد الالوان في باحة السماء ليصبح قوس قزح، رمزا لعهد الالهة بعدم تكرار الشر ضد البشر واعلنت عشتار :((كما انني لا انسى عقد الازورد الذي يزين عنقي فأني لن أنسى هذه الايام قط سأذكرها دوما)).

(ان قصة الطوفان الرافدي قد ظلت رواية the down of conscien وؤكد الاثري جيمس هنري برستد في مؤلفه) مقدسة تتناقلها الاجيال وشقت طريقها غربا شطر البحر المتوسط فانتشرت في سوريا وفلسطين بل قد وجد كريمير ادلة على انها كانت تدرس وترجم في جميع انحاء الشرق القديم . حتى انها وصلت الى اليونان فتروى لنا هناك ان زيوس كبير الالهة قرر تدمير الحياة على الارض فأرسل طوفانا عارما استمر تسعة ايام قضى على الناس جميعا الا ديكيلون وزوجته فرحة اللذين نجيا ببناء سفينة ووجدت القصة طريقها الى الكتاب المقدس فسجلت هناك وحينها قام كاهن بابلي غير على عانده القديمة يدعى بيرسوس بنشر تفاصيل القصة الاصلية وكان ذلك حوالي عام 275 ق م باللغة اليونانية التي كانت لغة عالمي انذاك ليعرف العالم اصل القصة الحقيقي...

مصادر

رحلة الى بابل القديمة

اسطورة الخليقة العراقية

الطوفان وفق اتراحاسيس

النص الكامل لملمحة جلجاميش

اسطورة الطوفان عند قدماء المصريين

هل يمكن للطوفان ان يكون قد حدث فعلا؟